وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية

في عامها الذهبي

كلية الآداب

الترقيم الدولي (Issu) ١٩٩٢ - ١١٣٦

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة تصدر عن قسم الفلسفة

العدد السادس عشر

كانون الاول/٢٠١٧

كلية الآداب - مجلة الفلسفة - العدد السادس عشر - كانون الاول ٢٠١٧

الفلسفة

مجلة محكمة يصدرها قسم الفلسفة

العدد
السادس عشر
كانون الاول

المحتويات

افاق معرفية

١- الدكتور جعفر آل ياسين السيرة والإنجاز الفلسفي	أ.د. حسن مجيد العبيدي	١-١٠
٢- إشكالية مفهوم السياسي في الفلسفة السياسية المعاصرة كارل شميت انموذجا	الاستاذ نورالدين علوش	١١-٢٠
٣- الحرب والجهاد في فلسفة الفرق الكلامية الاسلامية	أ.م.د ياسين حسين الويسي	٢١-٣٦
٤- سؤال الهوية في الدولة العراقية مابعد ٢٠٠٣ -اجابة فلسفية-	م.د. قيس ناصر راهي	٣٧-٦٢
٥- ميتافيزيقا المعنى البعد الميتافيزيقي في البحث عن المعنى	أ.م.د منذر جلوب يونس	٦٣-٨٢
٦- نظرية المحاكاة في الفلسفة اليونانية رؤية نقدية	أ.م.د منتهى عبد جاسم	٨٣-١١٨
٧- الظاهراتية وفلسفة الجمال عند هيدجر	أ.م.د سالي محسن لطيف	١١٩-١٤٤
٨- مفهوم النفس والروح وصلتها بالبدن عند الاشاعرة	أ.م.د. مصطفى هذال خميس أ.م.د. مشتاق ناظم نجم	١٤٥-١٦٠
٩- جون كوركوران الثورات العلمية	ترجمة: د. ليث أثير يوسف	١٦١-١٦٦

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/قسم الفلسفة
ص.ب:١٤٠٢٢
تلفون:٤١٦٨١١٩٨
Email:
Philosophyarts@yahoo.com

سؤال الهُوّية في الدولة العراقية –اجابة فلسفية–

م.د. قيس ناصر راهي*

المقدمة:–

لم يغب سؤال الهوية عن البحث الفلسفي واهتماماته, بل يمكن عده واحداً من اشتغالات الفلسفة, إلا إن الذي اختلف هو تحولات البحث الفلسفي بالهوية, نتيجة لتغيّر معنى الموضوع, فبعد أن كان سؤال الهوية جزءاً من البحث في الجوهر اصبح ينتمي الى القول بالمظهر, وبعد أن كان سؤال الهوية يقترن بالفرد اصبح مرتبطاً بالجماعة, وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مواكبة الفلسفة للتغيّرات المحيطة بها وعدم انفصالها عن الواقع الذي تنتمي له. وراهناً, يحتل البحث في الهوية مكانة مركزية في الدراسات الفلسفية السياسية المعاصرة .

ومع الشأن الفلسفي, هناك ضرورة للقول بأن على المهتمين به هناك حاجة على الاقل من وقت لآخر الى أن يعرفوا موقفهم من القضايا الواقعية ويختبروا انفسهم ازاء هذه القضايا. وهذا لا يعني مطلقا أنهم يهدفون الى ارشاد العالم أو الحديث بلغة القداسة في القضايا اليومية من منطلق وعظي, بل ما يمكن أن يقدموه هو اسهامهم في الحياة السياسية من خلال توضيح القضايا, وتقديم ما هو افضل منها, وفحص ونقد المبادئ السياسية التي تتخذ من خلالها الاطراف السياسية قراراتها وتدافع عنها, وإن التحدي الذي يواجهها –أي الفلسفة– هو كيفية التصدي للقضايا اليومية الكبرى دون خيانة لاستقامتها وصرامتها الفكرية .

وفي الشأن العراقي, يحاول بعض المهتمين تصور سؤال الهوية وكأنه نتيجة لما بعد ٢٠٠٣م, إلا أن الواقع يثبتغير ذلك, فسؤال الهوية تحديداً في العراق قد يعود لسنوات بل لعقود سابقة, وقبل أن يُطرح بشكله المعاصر بالعالم اليوم وفق سؤال من نحن؟ ولم يجد لهذاالسؤال اجابة في الدولة العراقية منذ تشكلها وحتى الوقت الراهن, فهل يمكن للفلسفة أن تقدم اجابة أو محاولة في التأسيس للاجابة؟ انطلاقاً من القول بأن الفلسفة ليس وظيفتها طرح السؤال فحسب, رغم القول بأن السؤال اكثر اهمية من الاجابة احياناً, إلا أن المساهمة بتقديم اجابة ربما تعالج مشكلة ما .

مركز دراسات البصرة والخليج العربي

لا ينكر القول بوجود تفسيرات عديدة لسؤال الهوية في الدولة العراقية من مجالات معرفية عديدة, مع التأكيد على وجود بعض الكتابات اقترن فيها ذكر الهوية العراقية بالفلسفة, إلا إن والحق يقال لم تجد الفلسفة حضوراً في ذلك الكتاب إلا من خلال العنوان فقط, وهذا ما دفع الباحث لمحاولة معالجة السؤال من خلال الفلسفة, ولاسيما الفلسفة السياسية الراهنة.

ولا يمكن انكار القول بأن البحث قد تحرك وفق الاجابة عن مجموعة من الاسئلة, منها: هل من الممكن انتاج هوية عراقية, وفي الوقت نفسه تعمل على المحافظة على الهويات الفرعية؟ هل بالامكان اعادة بناء هوياتنا الفرعية لتنسجم مع الهوية الرئيسة؟ هل من الممكن تكوين هوية تكاملية وليست اقصائية؟

أولاً-إعادة التفكير بالهوية فلسفياً:-

يمكن القول إن فهم الهوية فلسفياً ينقسم الى مرحلتين: المرحلة الأولى, هي المرحلة التي ينتمي فيها فهم الهوية الى ما قبل سؤالها, حينما كانت تُعرف الهوية بالجوهر وفق القول هو هو, أما المرحلة الثانية, وهي المرحلة الراهنة التي ساد فيها سؤال الهوية من منظور ثقافي, ليشمل كل الأسئلة الأخرى السياسية والاجتماعية والدينية, ليُعبر عنه بصيغة من نحن؟

إن سؤال الهوية وفق فهم الهوية الفردية يمكن التماهي فيه مع القول الآتي:إن الهوية الفردية لها ثلاثة ابعاد متداخلة: البعد الشخصي والاجتماعي والانساني أو العالمي. وإن اصحاب الهوية الشخصية يعرفون أنفسهم بأنهم كائنات بشرية متفردة ومتميزة, فيكون هذا الشخص بعينه بدلاً من أن يكون شخصاً آخر,والهوية الاجتماعية تختص بعضوية افرادها في المنظمات والمجتمعات المختلفة, ويعرفون انفسهم كآباء, امهات,ابناء, بنات, مسيحيين, هنود, رجال, نساء, سود بيض,و....الخ, وهذا بدوره يؤدي الى اشكال ومستويات مختلفة من الانتماء الاجتماعي. أما الهوية الانسانية فهي الاوسع والاشمل وأيضا الأكثر سطحية, ويعرفون انفسهم ببساطة ككائنات بشرية[1]. وينتمي هذا الفهم للهوية الى سياق الهوية الفردية وبتعبير آخر الى سؤال من انا؟ أما سؤال الهوية الراهن فينتمي الى الهوية الجماعية أي هوية الجماعة الثقافية بكل اشكالها, وبتعبير آخر الى سؤال من نحن؟

أ-الهوية قبل سؤالها من منظور فلسفي:-

إن حد الهوية (بضم الهاء) مصطلح ينتمي الى المعجم الفلسفي العربي منذ العصر الوسيط ويحيل في المنطق الى مبدأ الذاتية أو الهوية (أ=أ) كمقولة ميتافيزيقية دالة على الماهية, والهوية (بفتح الهاء) تستعمل قصداً في الشرق العربي لتدل على بطاقة التعريف[٢].

يمكن القول إن اهتمام الفلاسفة بالهوية ينتمي الى الاشتغالات الفلسفية في بداية الاهتمامات الفلسفية مع اليونان, فمنذ بواكير الفكر الفلسفي ومفهوم الهوية متعدد الأشكال وغير محدود، ويبدو إن بارمنيدس(Parmenides)(٥٤٠ق.م-٤٨٠ ق.م) أول من طرح ربط الهوية بالجوهر في قوله الشهيرالذي كتبه في القرن الخامس قبل الميلاد,إذ فُهمتعبارة (الكائن موجودواللاكائن غير موجود) بوصفها تأكيداً على إن (هويةالكائنات التجريبية)، أياً كانت تلك الكائنات، هي (ما يبقى دون تغيير رغم التغييرات) وتشابهه مع نفسه خارج الزمن[٣] .

وبالرجوع الى نشوء الفلسفة وقبل بارمندس بنحو قرن, قدجرى التعبير عن تصور آخر, إذ كتب هيراقليطس(Heraclitus)(٥٣٥ق.م-٤٧٥ق.م) (لا يمكن للمرء أن يسبح مرتين فيالنهر نفسه) كما تنسب إليه عبارة: (كل شيء يسيل)ولا يوجد جوهر أبدي، بل كل شيء يخضع للتغير, وهنا ترتبط هويةكل كائن تجريبي بالفترة المدروسة[٤]. ومع افلاطون(plato)(٤٢٧ق.م-٣٤٧ق.م) "في محاولته لتحديد الواحد من خلال الهو هو, اعترضته معضلة الغيرية, حتى يكون زيد هو غير عمر, يجب أن نعطي للغير أرضية ايجابية ووجودية, وإذا قمنا بذلك فإننا سنكسر الوحدة في الهو هو, وقد كانت هذه المعضلة هي معضلة الفلسفة على مر الأيام, فهيجل (Hegel) (١٧٧٠م-١٨٣١م) ومن بعده ماركس (Karl *Marx*) (١٨١٨م-١٨٨٣م) والماركسيون لم يستطيعوا حلها, إذ إنهم جدّلوا (أقحموا الهوية في تنظير جدلي) القضية وبحثوا عن تركيب التركيب, وبذلك تجاوزوا الآخر واقحموه في النسق دون أن يحلوا المعضلةهكذا إذن كل تصور لفكرة الهوية, إذا ما أراد ألا يقع في فخ هذه المعضلة يجب أن يخرج عن الهو هو, وأن يعمل في حقل التنوع, بجانب ما كان يعتبر ضدها أي محاذية للآخر وللغير"[٥], إذ عالج هيجل الهوية وفق قول أحد دارسيه:" ليس الجانبان شيئين وإنما هما شيء واحد ينظر إليه تارة على أنه ماهية وتارة أخرى على أنه ظاهر. فالماهية نفسها هي التي تظهر أي أن

المظهر هو الماهية. إن هذا التعادل بين طرفي العلاقة يعطينا مقولة الهوية" [٦], وهذا على مستوى الفكر الغربي .

ولم يغب موضوع الهوية عن البحث الفلسفي الاسلامي, إذ يختصر محمد عابد الجابري ذلك بالقول:"إن معنى الهوية في الاصطلاح الفلسفي العربي القديم قد استقر ليدل على ما به الشيء هو هو بوصفه وجوداً منفرداً عن غيره"[٧]والهوية أيضاً مرحلة تاريخية تصف الشعوب بأنها متقدمة أو متخلفة أو في طريق النمو, إذا كانت الهوية ثابتة وأصيلة في الوجودفإن مرحلة النمو متغيرةمن التخلف إلى التقدم مثل الدول الأوربيةوكما حدث للحضارة الإسلامية في مرحلتها الأولى، منذ النشأة حتىابن خلدون على مدى سبعة قرون أو من التقدم إلى التخلف، كماحدث في المرحلة الثانية في القرون السبع التالية بعد ابن خلدون عصر الشروح والملخصات الذي كاد ينتهي بفجر النهضة العربيةالحديثة الذي كان قد بدأ مذ قرنين من الزمان[٨].

وفي الفلسفة المعاصرة يمكن القول إن الهوية موضوع فلسفي بالأصالة, إذ عالجه الفلاسفة المثاليونبشكل ميتافيزيقي وحولوه إلى قانون(قانون الهوية),أما الوجوديون فقد عالجوا الموضوعمنعا لانقسام الذات علىنفسها ومن ثم إنكار الوجود الإنساني, بالمقابل من الغيرية التي هيليست قانوناًمستقلاً بذاته، بل هو نفي للهويه اللاأنا, ويكون القانونالجدلي الموضوع: الأنا, نقيض الموضوع: اللا أنا,ومركبالموضوع الأنا المطلق وهو عند الواقعيين، ولاسيما معالوضعيين تحصيل حاصل– لا يعني شيئاً,وهو تكرار لفظي للضمير المنفصل (هو) مثل معظم مصطلحات الفلاسفة ومشكلاتهم,ومنالطبيعي أن يطابق الشيء ذاته وأن لا ينفصم عنها في غيره,وهذهطريقة الميتافيزيقا المتمثلةبإثارة الغبار ثم الشكوى من عدم الرؤية, فهيبالنسبة إلى الوضعيين مشكلة زائفة مثل معظم قضايا الميتافيزيقا أو هي عبارات أدبية مصوغة على نحو عقلي لا مضمون لها ولاتشير إلى شيء ولا تقول شيئاً مجرد تحصيل حاصل، والحديث عنها لغو كلام [٩].

ووفق هذا المنظور ليست الهوية ما يبقى بالضرورة (متماثلة)، بل نتيجة مماثلة (جائزة),إنها نتيجة عملية لغوية مزدوجة(المفاضلة والتعميم), الأولى هيالعملية التى تهدف إلى تعريف الفارق، ما يحقق فرادة أمر ما أو شخص ما مقارنة بشخص آخر أو أمر آخر الهوية هى الاختلاف, والثاني هو العملية التى تحاول تعريف

المشترك في فئة منالعناصر، المختلف كليا عن فئه أخرى: الهوية هي الانتماء المشترك,وهاتان العمليتان أساس مفارقة الهوية: الفريد هوالمتشارك, لا يمكن فهم هذه المفارقة إن لم نأخذ في الاعتبار العنصر المشترك للعمليتين, مماثلة الاخر والمماثلة عبر الآخر(١٠), وعلى وفق هذين المنظورين, لاتوجد هوية دون غيرية, تتباين الهويات تاريخيا, مثلها مثل الغيريات, وتتعلق بسياق التعريف(١١).

ب-الهوية مابعد سؤالها:-

إن الهوية مابعد سؤالها يمكن التعبير عنها بانها مظهر وليست جوهراً, ولعل ابرز ما يلفت الانتباه في هذا الموضوع هو عدم انشغال البحث الفلسفي بتفاصيل سؤال الهوية الذي اشتغلت عليه مجالات معرفية عدة, ورغم إن حسن حنفي يلخص هذه الاسئلة إلا إنها أسئلة العلوم الانسانية بشكل عام وليست أسئلة الفلسفة بشكل خاص, ومن مجموعة الأسئلة التي طرحها حنفي: هل تنشأ الهوية من العرق؟ هل تشأ الهوية من الطائفة؟ هل تشأ الهوية من اللغة؟ هل تشأ الهوية من الثقافة؟ (١٢).

لقد وصف بعض المشتغلين بالحقل الفلسفي بأن هذا العصر هو عصر الهوية الثقافية, إذ أصبح نسق التعدد للجماعات متشكل على وفق: العرق,اللغة,الاثنية, والجنس, وبمعنى شامل وفق الهوية الثقافية, أي إن الثقافة تشكل الهوية السياسية للجماعات(١٣).ولعل هذا القول هو الذي يميز البحث الفلسفي الراهن بالهوية عن الحقول المعرفية الاخرى, إذ إن تلك الحقول قد انشغلت في البحث على الاجابة عن الاسئلة السابقة- سواءً أكانت سؤال الهوية الدينية, القومية, أو غيرها من الاسئلة- أما البحث الفلسفي فقد جعل الجميع ينطوي تحت تصنيف الهويات الثقافيةوفق رؤية الفلسفة التي تشتغل على الكل وتترك الجزئيات الى العلوم .

ويمكن القول إن ابرز ما يمكن ملاحظته لأي باحث معني بالهوية هو التحول الذي حصل في تسعينيات القرن العشرين, إذ ارتبطت الهوية بسياسة الهوية,الذي هو مصطلح ظهر في أوآخر القرن العشرين ليصف طائفة كبيرة من الصراعات السياسية المتكررة كثيرا ومثلت إحدى أهم المشكلات السياسية في الحاضر واشدها الحاحا, وتضم النشاطات السياسية التي يشير اليها هذا المصطلح الصراع من اجل الاعتراف

القانوني والسياسي والدستوري ببعض الهويات[١٤]. وسياسة الهوية هي مجموعة فرعية من السياسة الثقافية تطالب بتمثيل الهويات "السياسية" لأنها ملزمة جوهريا مع مسائل السلطة كشكل من أشكال التنظيم الاجتماعي التي تمكن بعض أنواع الهويات وفي الوقت نفسه تنكر هويات اخرى[١٥].

ولا يمكن القول إن سياسات الهوية ستحلل أو تذوب بسبب تفتتها وكثرة اجزائها أو إن البشر جميعهم سوف يتجاهلون مسألة الهوية ويتفقون على مبادئ عامة وحقوق جامعة ومؤسسات عالمية لاتقف عند الاختلافات في الهوية ولا تعيرها اهتماما, بل على العكس تماما, فالتنوع المتزايد وانعدام الامان الناشئين عن اختلاف الهوية يزيد من مطالبة هؤلاء بالاعتراف السياسي والحماية[١٦].

ومما هو ملاحظ إن وفقسياسات الهوية, يقع الجور عندما تتأثر جهود الافراد أو الجماعات في محاولاتهم للحصول على الاعتراف والاحترام لهوياتهم اثناء تعاملهم مع الغير, حيئذ أما تفرض عليهم هوية غريبة او تسبغ عليهم الهوية السائدة او ينظر اليهم باعتبارهم مهمين اخرين او اقل تطورا, او من سلالة اقل شأنا[١٧]. وإن سياسة الهوية مرتبطةبالدعوة إلى احترام التنوع الثقافي[١٨],

لكن اللافت في سياسة الهوية, إن الهوية متعددة الجوانب متعددة المناحي والآخرية والتماثل لها اوجه داخلية وخارجية بالنسبة للهوية أي هوية فردية وجماعية, وبالتالي فإن التنوع او تعدد اوجه الهويات المتداخلة وتعدد الانتماءات بداخل الهوية الواحدة هو احد خصائص سياسة الهوية[١٩].

ولا يبتعد سؤال الهوية عن سؤال العولمة, فقد كان للاختلاط الثقافي تأثيراً قوياً على حياة الانسان, حتى لو كانت القومية تميل الى تعزيز اوهام النقاء الثقافي, ولكن العولمة تجعل من الصعوبة الحفاظ على هذا الوهم[٢٠], وفي الوقت نفسه,"قاد التحديث والتطور الاقتصادي ونمو المدن والعولمة الى اعادة التفكير بهوياتهم واعادة تعريفها بلغة مشتركة اكثر حميمية ودقة. فبدأت الهويات الثقافية القومية الثانوية والمحلية تتقدم على الهويات الوطنية الاكثر اتساعاً. والناس ينتمون الى أولئك الذين يشبهونهم وأولئك الذين يشاركونهم الوعي الاثني المشترك"[٢١].

ومن المسائل التي لابد من الاشارة اليها, انه في بعض الاحيانتصنع العدائية هوية الجماعة أو الفرد, وكما عبر عن ذلك سارتر, حينما ذكر ليس اليهودي هو الذي يخلق

النزعة المعادية للسامية, إنما النزعة المعادية للسامية هي التي تخلق اليهودي[٢٢] .

ويمكن القول إن ابرز مفكر معاصر شخص حالة ازمة الهوية والدولة في أوآخر القرن العشرين هو صموئيل هنتنغتون .*Samuel* P *Huntington*(١٩٢٨م-٢٠٠٧م), إذ يقول:"نحن الامريكيين نواجه مشكلة حقيقية في الهوية الوطنية يلخصها موضوع هذه الجملة. هل نحن نحن, شعب واحد أم عدة شعوب؟ وإذا كنا نحن نحن, فما الذي يميزنا عن هم الذين ليسوا نحن؟"[٢٣], والسؤال الذي طرحه هنتنغتون لم يقف عند الولايات المتحدة الاميركية فحسب, إنما شمل العديد من دول العالم, إذ يقول في ذلك:"في كل مكان تقريبا تساءل الناس, وامعنوا النظر وأعادوا تعريف ما هو مشترك لديهم وما يميزهم عن الشعوب الأخرى: من نحن؟ والى أين ننتمي؟ فاليابانيون يتنازعون على ما إذا كان موقعهم وتاريخهم وثقافته تجعلهم آسيويين, أو إن ثروتهم وديمقراطيتهم وحداثتهم تجعلهم غربيين. لقد وصفت ايران بأنها أمة تبحث عن هوية, وجنوب افريقيا منشغلة في البحث عن هوية, والصين في بحث عن هوية وطنية, بينما تايوان كانت منشغلة في حل واعادة تركيب الهوية الوطنية. وقد قيل إن سوريا والبرازيل تواجهان أزمة هوية, اما كندا فتواجه ازمة هوية مستمرة, والدانمارك ازمة هوية حادة, والجزائر أزمة هوية مدمرة, وتركيا ازمة هوية فريدة تقود الى جدال ساخن حول الهوية الوطنية, وروسيا أزمة هوية عميقة.....تتنوع ازمات الهوية في هذه البلدان وبلدان اخرى في الشكل والجوهر والشدة ودون شك لكل ازمة اسبابها الفريدة"[٢٤] .

وهناك قضايا عدة من الممكن ملاحظتها اثناء دراسة موضوع الهوية, وهي:

١- دخلتالثقافات في تشكيل الهوية ووجدت في عمليات تاريخية معقدة من التفاعل مع ثقافات الآخر[٢٥].

٢- تعني الهويةأنها ثقافة مظهرية وليست جوهرية[٢٦].

٣- وإن العصر الحديث متداخل ثقافياً[٢٧]وإن كل المجتمعات أصبح لثقافاتها حضوراً متزايداً, وهذا التطور يطرح سؤالاً في غاية الأهمية, وهو كيف يُعالج هذا الأمر؟ ولاسيماإذا ربط بقضايا مثل الحق في الحياة وحرية التعبير, وأن الإجابة عن هذا السؤال شكلت احراجاً للذين يتمتعون بثقافتهم الخاصة, وهذا ما يدعو إلى السؤال عن

حدوده الفلسفية التي مثلتتحدياً دون المساس بالمبادئ السياسية الأساسية.

٤-كل ثقافة تتطور مع مرور الوقت، وبذلك ليس لديها سلطة التنسيق، إلا إنها تبقى كلها معقدة وتخضع لمنهج, ولديها ما يدعىبالخيوط المتبقية من الفكر سواءً أكانت ذاكرة تاريخية أو بعض العناصر الثقافية الثابتة, وما يمكن ملاحظته هو سعيالثقافة السائدة لقمع أو تحييد كل ثقافة أخرى[٢٨].

وقد تبين مما سبق إنه لا يمكن القولإن الاشتغال على الهويات تصور ما بعد حداثي, ولكن هذا الامر مجرد نتيجة لمعرفة تاريخية مفتقرة[٢٩], انما ما يمكن التعبير عنه ان انبثاق سؤال الهوية قد حصل مع فلسفات مابعد الحداثة[٣٠].

ثانياً- الدولة العراقية والهوية:-

لقد اصبحت قضية الهويات في الدولة العراقية بعد الاطاحة بنظام البعث نقطة محورية في الجدل الاكاديمي, حيث سعى الخبراء جاهدين لتفسير ما اعتبر إنه تبخر لقومية علمانية مواطنة جامعة, وظهور سريع للهويات الطائفية وترسخها, وطرحت تصورات مابعد حداثية للهوية, ولاسيما من حيث كونها بناءً اجتماعياً, يشغل الافراد ضمنه مراكز مختلفة في المجتمع, مقابل تصورات أخرى تنظر الى الحراك السياسي في العراق من منظور عرقي طائفي[٣١].

وقد تمثلت واحدة من اصعب المهام التي واجهت الدولة العراقية الحديثةفي مرحلة تأسيسها هي بناء هوية جامعة تشمل فئات المجتمع كافة, وقد كانت القومية الرسمية كما عرفتها الملكية, تقر بالاعتماد على القوة الاستعمارية الى جانب اعتماد سياسة يتم بموجبها تقديم المصالح العراقية على ما سواها, أما المعارضون لهذا الموقف فكانوا من المعترضين على الاعتماد على البريطانيين, أو من الشيوعيين, أو ممن يدعمون نوعاً من القومية القائمة على العرق, أي القومية العربية أو الكردية [٣٢].

وإن أي باحث في تاريخ العراق الحديث (منذ العشرينيات), سيكتشف بصورة جلية إن العامل الأول في ديمومة التوتر والعنف في الوضع السياسي والاجتماعي يعود أولاً الى هشاشة الهوية الوطنية العراقية, وصحيح إن من طبيعة العراقيين مهما اختلفت انتماءاتهم الدينية والطائفية واللغوية, فإنهم يتعايشون يومياً بصورة تكاد تنعدم فيها العنصرية بشكلها الاجتماعي المعلن, إذ إن خصال تاريخ بلاد النهرين (مقارنة بتاريخ الهند

مثلا), حيثانعدام الحروب العنصرية والاهلية بين الناس وسهولة ذوبان الشعوب الجديدة في الشخصية الرافدية المشتركة, مثال الحرب الكردية دليل واضح على هذه الحالة, فإن هذه الحرب بقيت دائما على الصعيد السياسي أي بين الحكومة والاطراف الكردية ولم تتطور أبداً الى حالة حرب أهلية بين العرب والكُرد رغم تعايشهم المشترك في مدن عراقية عديدة[٣٣].

ويمكن القول إن ملخص الصور التي قدمت عن العراق (دولة وهوية) قد لخصها احد المهتمين بالشأن العراقي, بالقول الاتي:"يعتقد الكثير من الباحثين (فضلا عن نقاد آخرين) أن الصراع العرقي والطائفي في العراق يعد نتيجة مباشرة للغزو الامريكي. وفي الوقت نفسه, ثمة من يلوم البريطانيين على اخفاقهم في عملية بناء الدولة وبناء الأمة في العراق في مطلع عشرينيات القرن العشرين. ويزعم آخرون ان نظام البعث هو الذي بعثر الهوية الوطنية العراقية. ويذهب البعض بعيدا في الجدال ليقولوا ان العراق كان بلدا علمانيا لفترة طويلة, حيث يرتبط غالبية مواطنيه بهويتهم الوطنية بدلا من ارتباطهم بهويتهم العرقية او الدينية. ....ومع ذلك يعتقد آخرون أن العراق لا يتألف من شعب واحد, ويؤكدون بدلا من ذلك على أنه من الخطأ الاعتقاد بأن طوائف العراق الثلاث الرئيسة, الشيعة والسنة والكرد يتشاطرون حسا مشتركا بكونهم أمة"[٣٤].

ثالثاً-احياء سؤال الهوية مابعد ٢٠٠٣:-

يعتقد الباحث بأن الهوية الوطنية التي يدعي البعض نهايتها مابعد ٢٠٠٣م هي هوية متخيلة ليس لها وجود في الواقع الفعلي, إنما اشتغل القوميون ومن بعدهم البعثيون لمحاولة تشكيلها وفق هوياتهم وليس وفق هوية الدولة, وحاولوا فرضها على المجتمع من خلال التعليم ومؤسسات الدولة التي اخذت طابعاً على وفق هوية أحد مكونات الدولة وجعلوا منه المكون الرئيس في الدولة العراقية, اما مابعد ٢٠٠٣م فلم يعد وجود لتلك الهوية لأنها هوية متخيلة غير مرتبطة بالواقع الفعلي لوجود الدولة .

والحال السابق لا يشمل العراق وحده, إنما اغلب دول الشرق الأوسط تدرك وفق قول احد المهتمين:" بأن مجتمعاتها عبارة عن فسيفساء من هذا القبيل (من الناحية الاثنية, العرقية والدينية معا). ولكن عندما تخضع للحقائق المجتمعية, فإن هذه الرؤية التجزيئية, لا تتفق مع الحقائق السياسية: ذلك أن نمو

النزعة الى التجمع وتحول الجماعات المحلية الى فاعلين سياسيين لم يظهر بعد الى الوجود"[٣٥].

ومن الواجب القول إن جزء من تفتت هوية الدولة العراقية يتحمله النظام البعثي, إذ يصف احد الباحثيندورهم بالانحطاط الشامل للهوية الوطنية, اذ يقول"ان هذا الانحطاط والانتهاك, شأن كل خراب واستعداد على التخريب له مقدماته التاريخية ونماذجه الملهمة. فهو يشير عموما الى واقع الانقسام والتجزئة المتفسخة في بنية الوعي الاجتماعي والاخلاقي, كما انه يشير الى انحلال بنية الفرد والمجتمع والدولة والثقافة. بمعنى انحلال الحد الضروري الذي يكفل لكل منهم حق الوجود والفعل ضمن معايير المصلحة العامة. وقد رفعت التوتاليتارية البعثية والدكتاتورية الصدامية هذا الانحلال الى مصاف المرجعية المتحكمة في كل جزئيات ومسام الوجود الاجتماعي"[٣٦].

لقد كانت الدكتاتورية الصدامية النتاج الخاص لصعود الراديكالية السياسية في مجرى القرن العشرين في العراق, مما جعل منها القوة الاكثر تخريبا لمكونات الهوية العراقية بوصفها هوية تاريخية ثقافية, وذلك بسبب طابعها السياسي- الحزبي البحت وانعدام تقاليد العقلانية والاعتدال, مما جعل من نفسية وذهنية الراديكالية السياسية مصدر التحلل والتفكك الاجتماعي والوطني على كافة المستويات وفي كافة نواحي الحياة, ويعطي لنا ذلك امكانية القول, بأن تفكيك الكل الوطني في العراق هو نتاج الزمن الشمولي, وفيهما ينبغي البحث أولاً وقبل كل شيء عن مقدمات الاحتلال وقدرته على تفعيل منظومة التفكك الوطني, وليس مصادفة ان يكون الاحتلال الامريكي للعراق ملازما لذروة الصعود الراديكالي لفكرة المحافظين الجدد, وذروة الانحطاط المعنوي لراديكالية الشمولية البعثية والدكتاتورية الصدامية[٣٧].

وقد طرح احد الباحثين سؤالاً من هو العراقي؟" الاختلاف أو عدم الاتفاق في الاجابة على هذا السؤال بين الشيعة والنخبة السنية الحاكمة عكس اتجاهات ايديولوجية متباينة للجماعتين. فبينما تفضل الاغلبية الشيعية في العراق مفهوم وطنية عراقية محددة تشدد على القيم العشائرية والاسلامية في المجتمع العراقي, تبنى الحكام السنة العراقيون مفهوما اوسع للوطنية (أي القومية) واعتبروه ايديولوجية رئيسة لهم واتخذوا من ترجيح الشيعة للوطنية العراقية دليلا بأن

الشيعة وعبر التزاماتهم او متبنياتهم او مواقفهم لم يجعلوا من هذا المفهوم هدفا اقصى لدولة عربية تمتد بعيدا الى ما خلف حدود العراق"[٣٨].

ولكن القول بأن الدولة العراقية مجموعة من الهويات لا ينسجم مع طروحات بعض الباحثين, الذين رفضوا القبولبصورة للعراق متشكلة وفق مجموعة اثنيات وطوائف ومذاهب, بل ذهب الى ابعد من ذلك للقول بمجموعة من الاقليات لايوجد فيه مكون غالب يطبع الهوية العراقية, وذلك بالتعكز على نظرة تجزيئية, تقسيمية تفتيتية, عند تناول الهوية العراقية التي يتم اختزالها الى هويات طائفية واثنية, وليس هوية شمولية[٣٩]. مع تأكيد القول إن التشظي في رسم صورة العراق وتكويناته لايشمل والسنة والكرد, بل أخذ الحديث يكثر عن مكونات واقليات اخرى مثل التركمان والكلدواشوريين فضلاً عن اديان صغيرة كاليزيدية والصابئة, وليس من باب حقوق المواطنة والمساواة وعدم التمييز, بل من باب التباعد والتناقض والتناحر[٤٠].وهناك رأي لا يقف عند القول بما متعارف عليه من تقسيمات بل يذهب للتقسيم وفق الايديولوجيا, اذ يقول احد الباحثين" هنالك زاوية في الموضوع لم تولى الاهمية ولاسيما من قبل الكتاب العراقيين, الا وهي زاوية الصراع على الهوية من قبل المد الديني(الاسلام السياسي) أو من يدعي امتلاك الايديولوجيا الاسلامية, والمد المدني (المجتمع المدني)"[٤١].

وامام ما تم ذكره يتبين إن الدولة العراقية تحتوي على عدة هويات, لكن بعض المهتمين حاولوا رفض هذا القول من اجل فرض هويتهم على الدولة بشكل عام, وتخوف آخرون من القول بالهويات المتعددة خشية التفتت والانقسام, وهناك من ذهب بالقول الى تعدد الهويات, لكن ليس من اجل ضمان حضور تلك الهويات, انما من اجل مصالح هويته ايضا, ولا يهمه سواءً وجدت هوية رئيسة تشمل هذه الهويات أملم توجد, فالقول بحضور الهويات الفرعية يأتي بعد محاولة تشكيل هوية رئيسة, لهذا قد قدمت صورة مشوهه عن الانموذج الذي عمل فيه في العراق وفق الهويات المتعددة.

ويمكن القول ورغم ما تم ذكره من نقد لرؤية العراق وفق التنوع الثقافي, إلا إن من ابرز تحديات القرن الحادي والعشرين هي مسألة معالجة التنوع, وانفجار الهويات الفرعية. وإن معظم بلدان العالم اليوم متنوعة ثقافيا, ووفقالتقديرات فإن ١٨٤ دولة مستقلة في

العالم تحتوي على اكثر من ٦٠٠ لغة حية, فضلا عن ٥٠٠٠ جماعة عرقية, وفي عدد قليل من الدول ممكن القول انها تمتلك لغة واحدة, او تنتمي الى نفس الجماعة, فكيف يمكن معالجة هذه الاختلافات في الثقافة والهوية داخل المجتمعات السياسية ؟[٤٢] .

وهنا يتبين إن سؤال الهوية في العراق نتيجة لسياسة الخوف وليس بفعل التغيير الذي حصل في ٢٠٠٣م, مع تاكيد القول بأن التغيير قد ساهم بإنفجار سؤال الهوية في العراق, فما حصل بعد ٢٠٠٣م من حضور لسياسة الهوية كان نتيجةظلم اجتماعي تعرضت له بعض الجماعات, وكتصدي لهذا الظلم اشتغلواعلى تقوية وعي اعضائها بهويتهم الجمعية وخبراتهم المشتركة. وبهذا المعنى ربطت الهوية الفردية بالاجتماعية, وتعتبر الفرد متجذرا في سياق ثقافي معين [٤٣].

لابد من القول إن الانموذج الذي يشتغل عليه اليوم في الساحة الفكرية العالمية هو انموذج الدولة متعددة الهويات, أما الانموذج الموجود في مخيال اغلب من اشتغل على الهوية العراقية هو ضرورة وجود هوية وطنية على وفق هوية الدولة الامة التي تبنى وفق هوية واحدة, وعادة, ما تكون هوية الاغلبية, وهذا ما يتنافى مع طروحات الدولة العراقية مابعد ٢٠٠٣م التي نصت على أهمية حضور كل الهويات الثقافية في المشهد الثقافي والسياسي, لكن الخلل تمثل بصعوبة تطبيق هذا الأنموذج أي الدولة التي تضمن حضور كل الهويات الثقافية, وثانيا الذهنية المسيطرة التي هي ذهنية الدولة الامة التي تريد كل جماعة فيها فرض سيطرتها على هوية الدولة, وبالنتيجة حدثت ازمة داخل بنية الدولة العراقية بكل مفاصلها, إذ فهم الحضور على إنه محاصصة على الرغم من ان التوافقية احيانا شكل من اشكال ادارة الدولة المتعددة, وقد نجحت في دول عديدة إلا إن مع العراق اثبتت وجود خلل في تطبيقها .

رابعاً–ضرورة تشكيل هوّية عراقية:-

يفرض المشهد العراقي اعادة التفكير بمسألة الهوية من دون انفعال, ولاسيما إن المرحلة الفلسفية التي ننتمي إليها تشتغل وفق اعادة تشكيل الهوية باستمرار وفق المتغيرات التي تمر بها الدول, وفي العراق مابعد ٢٠٠٣محصل انتقال بشكل مفاجئ من سيادة الهوية الواحدة الى الهويات المتعددة, مما سبب ارباكاً لدى الفرد العراقي الذي اعتاد على هوية واحدة متخيلة.

وفي اطار الحديث من خلال الفرضية المتمثلة في الدستور العراقي ٢٠٠٥م, إن العراق دولة متعددة الهويات, فيفترض تقديم أدوات أو منهج لتحقيق هذه الفرضية, فضلا عن التصدي لمن يحاول استثمارها لتمزيق الوحدة غير المتحققة, مع الايمان والتماهي مع رأي احد الباحثين, حين قال: "واذا كان الموزائيك العراقي مصدر اثراء وقوة واجتماع للعراق على مدى تاريخه السابق والمعاصر, فإن تلبية حقوق الجميع مسألة اساسية ولا يمكن تجاوزها وفق معايير ومنظومات حقوق الانسان, إلا أن الصورة الغربية ذات الحكم المسبق استدهفت شيئا آخراً ارادت له أن ينغرس في الواقع الحالي, حيث اللهاث وراء الامتيازات والتدافع على المكاسب والالغاء للآخر بهدف الحصول على أكبر قدر من الغنائم حتى وإن جاءت على طبق المحتل وعلى حساب الهوية الجامعة "[٤٤] .

ورغم الخصال الايجابية في طبيعة الشعب العراقي المتمثلة بقبول الآخر, إلا إن النخب السياسية العراقية لم تحاول ابدا تطويرها الى المستوى السياسي والتربوي الواعي بصورة كاملة لتفاصيل هذا التنوع في المجتمع العراقي, المشكلة ان الدولة والنخب والاحزاب لجأت الى ابسط الحلول واكثرها سطحية من اجل تربية العراقيين بحقيقة هذا التنوع: اسلوب السكوت وتجنب اي تفاصيل لماهية الاديان والمذاهب والجماعات اللغوية التي يتكون منها المجتمع العراقي, كل هذا تحت شعار(جميعنا عراقيون وكفى, ولاداعي لاثارة الحساسيات), وهذا التجاهل والتجهيل المستمر منذ اجيال وحتى الان انغرز عميقا في العقلية العراقية بحيث غدا التطرق لمثل هذه الامور من المحرمات التي يتم تداولها فقط بين ابناء الجماعة اللغوية او المذهب او الدين, وبالنتيجة,امست كل جماعة تشعر في داخلها بأجنبيتها عن الجماعات الاخرى وكذلك بأجنبيتها عن الهوية العراقية المشتركة[٤٥].هكذا ادى شعار الاحزاب والنخب والدولة بـ (اننا عراقيون وكفى), الاعتقاد بسذاجة وسطحية بان السكوت والتكتم عن التطرق لتنوعات المجتمع اللغوي والدينية والطائفية سيؤدي تلقائيا الى التوحد, لكن الذي حصل هو العكس تماما[٤٦].

ومن اجل تشكيل الهوية العراقية ينبغي ملاحظة عدة امور وفق الفهم الفلسفي لسياسة الهوية التي يقترب الشأن العراقي منه وإن كان على مستوى الفرضية:-

١-يمكن القول إن الهوية الوطنية تُمنح ويعاد تشكيلها بصفة دورية, ويعاد تعريفها

واسترجاعها في ضوء معرفة ظروف المنتمين لها[٤٧], ولاسيما مع وجود فروع من النظرية السياسية المعاصرة تشجع النقاش في الاعتراف بالهويات[٤٨], وهنا تماهي مع الرؤية الفلسفية التي تم ذكرها سابقاً, والقائلة بأن سؤال الهوية مظهر وليست جوهراً, وبهذا يمكن اعادة تشكيلها على وفق اية متغيرات جديدة .

٢-إن الهوية العملية مسألة نسبية متداخلة من زاويتين, فهي تكتسب وتدعم ويعاد التفاوض بشأنها في الحوار بين من يشتركون فيها ومن لا يشتركون, وأية هوية عملية تعكس على من لايشتركون فيها هوية أخرى, وهؤلاء بدورهم يطالبون بالاعتراف بهويتهم, وهي الهوية التي لا يخلعها عليهم الغير, لهذا السبب فإن التفاوض أو الحوار وتبادل الرأي بشأن اشكال الاعتراف امر شديد الاهمية بالنسبة لسياسات الهوية[٤٩].وهنا لابد أن يكون الاعتراف بالآخر والتحاور معه من الخطوات الرئيسة في تشكيل الهوية الوطنية, بل احياناً يتوجب التحاور والتفاوض باستمرار من اجل مراجعة قضايا الهوية .

٣-إن المسألة الاخرى الواجب قولها لتشكيل هوّية عراقية, تتمثل بأن الهوية شيء قابل للنقاش وتأتي إثر عمليات التفاعل الإنساني,وتستلزم عمل مقارنات بين الناس كي تؤسس أوجه التشابه والاختلاف بينهم[٥٠].ولعل الاعتراف بالهوية الاخرى واحترامها هو المدخل الى شعور هؤلاء بقيمتهم كأفراد أو كجماعات مما يجعل اعضاءها يشعرون بالمساواة في حياتهم الخاصة والعامة في المجتمعات الحديثة, أما احتقارتلك الهويات من منطلق خطاب الكراهيةأو فرض الثقافة السائدة التي من شأنها أن تحطم أو تستوعب أو تهمش ثقافات اخرى, فكل ذلك عمليات غير عادلة تضر باحترام اعضاء تلك الثقافات لانفسهم وتؤدي بهم الى عدم الاندماج في الثقافة الاخرى حتى وإن كانوا على استعداد لذلك, مما يسبب القهر والتهميش والتفكك وانعدام احترام الذات والافتقار الى تقديرها والشعور بالاغتراب والفقر[٥١].

٤-إن مفهوم الهوية في حد ذاته لا يُعبرعن وجود نظرية واحدة لها, فهي ليست حقيقة علمية ثابته, فالهوية العملية لأحدهم تعبر عن نمط وجوده في العالم مع الآخرين, وهي شكل لـ وعي الذات وتشكيلها وتركيب لتقييمات قوية في اتفاق مع البشر الذين يُقيمون أنفسهم ويجدون حياتهم بأنها ذات قيمة وأفعالهم تستحق أن يؤخذ بها[٥٢].

٥-لابد من اثارة مسألة تعد جدا مهمة, تتمثلبالقول بأنه مهما وجه نقد لمحاولة التخلي عن هوية الانسان, فإن ذلك غير ممكن, فوفق التحليل النفسي الذي يمكن عده شكلاً من اشكال التفسير الثقافي, ومع فرويد تحديداً يُذكر عنهإنه قال مهما قدمت من نقد لليهودية (معتقداتها وممارساتها) التي هي دين ابائه, وإنه لم يعتبر نفسه يهودياً, لكنه بعد أن تأمل نفسه أكتشف انه في طبيعته الاساسية يهودي[٥٣]. فإذا كان هذا حال رائد التحليل النفسي فما حال الانسان البسيط الذي لا يمكنه التخلي عن هويته؟ لكن ما يمكن تحقيقه هو ايجاد رؤية لإمكانية العيش سوياً في دولة واحدة تعترف بكل هوياتها, ووفق ذلك يتم صناعة انسان يؤمن بتعدد الهويات, فضلاً عن هوية يمكن اعادة تشكيلها.

وليس بعيدا عن فرويد والتحليل النفسي هناك باحث حاول مقاربة علاقة الانسان بتعدد الهويات من خلال الدراسات النفسية وتأثير الثقافات المتعددة على الفرد, ويتوصل الى إن تأثير الثقافة على الإدراك هو مستمر ودائم, والمعرفة الثقافية المتعددة مثل العدسات اللاصقة التي تؤثر على تصورات الفرد, وبالنتيجة تعد هذه المسألة ايجابية وتؤهله لرؤية العالم بأكثر من صورة[٥٤]. و"تستدعي التعددية الثقافية التمسك الايجابي, وحتى الاحتفاء بالتنوع الطائفي, ويقوم ذلك نمطياً إما على حق الجماعات الثقافية المختلفة في الاحترام والاعتراف بها أو على المنافع المفترضة التي يجنيها المجتمع الأوسع من التنوع القيمي والثقافي"[٥٥] .

٦-إن الهوية الوطنية واحدة من تلك المفاهيم التي تستحضر ردود مختلفة, وهناك رأي مفاده كل شخص لديه هوية وطنية سواء اعجبته ام لا, وفي الواقع ان هذه الهوية قد منحت له من الدولة في شكل المواطنة[٥٦].من هذه الناحية فإن الهوية الوطنية قد اخذت بصورة طبيعية وجوهرية, وينظر اليها كنشاط شيدته الدولة, وتحتاج الى تصنيع بشكل مستمر ومتواصل[٥٧].

ويمكن القول بأن المواطنة ممارسة وتدريب, وتعمل على تنمية الانتماء الى الهوية (الرئيسة) العراقية مع الحفاظ على الهوية الفرعية, وأن يتكون لدى المواطن شعور بالولاء للهوية الرئيسة, من خلال بناء مواطنة تعمل على ايجاد الفضائل المدنية, وأن تتحرك الهويات الفرعية في اطار حركة وفاعلية الهوية الرئيسة من خلال برامج تدريبية يجري العمل بها وفق برمجة مركزية خاضعة لسلطة الهوية

الرئيسة لتنمية الوعي بالهوية الفرعية على وفق منظور الهوية الرئيسة. وبناءً على التعدد الموجود من الهويات الفرعية, ولاسيما إن فهم الهوية المعاصر يتمثل بجعلها مظهراً وليس جوهراً أي بالإمكان تشكيلها على وفق أي متغير يحصل. وهناك تفاصيل متعلقة بالموضوع, مثل المناهج الدراسية, قنوات الاعلام الحكومية, العطل الرسمية, الرموز الوطنية, والتي يحددها مختصون من مجالات معرفية يمتازون بدقة التشخيص والرغبة في انجاح المشروع.

٧-إن مصطلح الهوية الوطنية جزء من البرمجة العقلية للمفهوم الوطني للشعب, ولكن في مستوى واعي من الممارسات, سواء أكان مع الرموز والابطال أم مع الطقوس[٥٨]. ولابد هنا من أن يأخذ المجتمع المدني التكثيف من نقد سياسة الهوية لكي تحدث موازنة بين دعاتها ومعارضيها, إذ تعتمد وجهة النظر المعارضة للهوية على الاعتقاد بأن الهوية تتضمن ليس معرفة ما عليه الفرد فحسب, بل ايضا ماهو ضده, وتستلزم أن يعي بوضوح من هو عدوه, وترى وجهة النظر هذه إن الهوية تظل غير محدودة ومشوشة وينقصها التركيز ما لم يتم فصلها بوضوح عما يضادها من هويات وتتباين معه[٥٩]لكن على أن يقابل هذا الوعي وعي آخر يتمثل بوجود اعتراف على نطاق واسع بأن الدول يمكن أن تضر مواطنيهافي حال التقليل أو تجاهل الهويات الثقافية، وهذا الضرر يمكن أن يُشكل حرمان للناس من حقوقهم المدنية والسياسية, وإن القوانين والمؤسساتمن المحتمل أن تكون متحيزة نحو هويات ومصالح الأغلبية[٦٠].

ويمكن القول إن الهوية الوطنية شكل من أشكال المتخيلات التي يعبر عنها من خلال الرموز والخطابات, وبالتالي، فإن الدول ليست فقط التشكيلات السياسية ولكن أيضا نظم التمثيل الثقافي حيث استمرارية إعادة إنتاج الهوية الوطنية, وإن الثقافات ليست كيانات ثابتة ولكنها شكلت من خلال تغيير الممارسات والمعاني التي تعمل على مستويات اجتماعية مختلفة لذلك هناك ضرورة لفهم ثقافة وطنية معينة والعمل عليها من مختلف الفئات الاجتماعية, ويتم وضع علامة انقسام الهويات والخلافات الداخلية العميقة في ظل الهوية الوطنية التي يبغي بناؤها من خلال سرد القصص والصور والرموز والطقوس التي تمثل المعاني "المشتركة" للأمة, وبالتالي الهوية الوطنية

تشمل التماهي جنبا إلى جنب مع الأسطورة التأسيسية للجماعات الثقافية[٦١] .

٨-إن هوية الجماعة من نتاج التاريخ, وهي بحاجة الى اعادة تعريفها ومراجعتها بصفة دورية, ولو قمنا بتجميد التاريخ عند نقطة معينة من الزمن, فإن اسلوب تفسير الهوية الوطنية في هذه الحالة يصبح مهجورا وخارج السياق[٦٢], ويجب توفير الفرص لحضور جميع الثقافات[٦٣].وفي هذا السياق تُطرح قضية العلاقة بين الدولة والثقافات, إذ إن الحكومات الحديثة بإمكانها بل ينبغي عليها تجنب دعم أي ثقافة مجتمعية أو هوية ثقافية[٦٤] .

ويمكن ايجاز ما ذُكر سابقاً مع اعادة تشكيل الهوية بالقول إن الهوية ليست ثابته, أي أنها ليست جوهراً, وبالنتيجة يمكن اعادة تشكيها على وفق المتغيرات من خلال الحوار والتفاوض والاعتراف بالآخر من خلال الاحترام ونشر مفاهيم التسامح, لكن لو حصل تشخيص متفق عليه بأن الدولة تحتوي على هويات ثقافية متنوعة تُحترم ثقافاتها ولغاتها المختلفة, بل ويصل الأمر الى اقراره والاعتراف به دستورياً, فهل يحل هذا القرار المشكلة؟ قد يحل المشكلة في حالة اكماله بتشريع القوانين التي تؤمن هذا الاعتراف بالتعدد, وهنا يأتي دور الباحثين من مجالات مختلفة, سواءً أكانت من مجالات دينية, قانونية, تربوية, اعلامية, واجتماعية, أو مجالات أخرى للبحث بما يؤمن تحقيق الاعتراف بالهويات المتعددة وفق المجالات المعرفية المذكورة آنفاً كل حسب تخصصه, فضلاً عن السعي من المختصين بالقانون لتجريم مثيري الفتن بين المنتمين لهويات مختلفة, سواءً أكانوا من الذين يحملون عنواناً دينياً أو سياسياً أو اعلامياً, أو أي شخص ينتمي للدولة, والاعتراف بأن الدولة جامعة لكل الهويات التي تحتويها .

إن اعادة التفكير بالهوية لا يدعو الى الغاء الهويات, إنما الى القول بحضورها على وفق سياسة الدولة التي تشتغل على بناء هوية رئيسة تضمن حضور الهويات الفرعية وتعمل على تنظيم حضورها ايضاً, ولعل من أبرز وسائل الدولة في اعادة تشكيل الهوية هي ما يتعلق بالتعليم والاعلام, فإذا فقدت الدولة القدرة على السيطرة على هاتين الوسيلتين فإنها قد فقدت القدرة على تشكيل هوية رئيسة.

الخاتمة:-

رغم محاولة اقناع الذات بأنها مسؤولة عن هويتها, وهيمن تشكلها إلا إن الواقع يشي

بغير ذلك,إذ ماهو كائن يشير الى أن هوية الـ انا تتشكل ضمن الـ نحن, بل لا يمكن تجاوز القول بأن هوية الـ نحن كالأثم الذي لا نستطيع النجاة منه مهما عارضناه.

إن الجدل حول تصنيف الهويات, سواءً اكانت هوية دينية أم اثنية أم قومية أم غيرها من التصنيفات لا يوجد في الادبيات الفلسفية, وذلك لأن كل هذه التصنيفات فلسفياً تنطوي ضمن الهوية الثقافية, وبالنتيجة إن الهوية ظاهرة ثقافية, لذا قد لاحظ الباحث إن من اشتغل من الفلاسفة المعاصرين على تلك الهويات وصفها بالهويات الثقافية, ولابد من الاشارة ان القول بتعدد الهويات جاء نتيجة أو ردة فعل على القول بالهوية الواحدة.

لم يشتغل البحث هنا على اصالة الهوية العراقية, بل بالعكس تحرك البحث وفق القول بأن الهوية العراقية لم تتشكل بعد, ولابد من جهود حثيثة يشترك فيها مجموعة من الباحثين مع رغبة سياسية بايجاد خطوط رئيسة لتشكيل هوية عراقية رئيسة تؤمن بوجود هويات فرعية, وعلى الأخيرة الايمان بأولوية الهوية الرئيسة وتقديمها على الهوية الفرعية .

الواضح مع الهوية في الدولة العراقية, إن الآخر الغربي هو من شكل الانقطاعات في الفهم, فمثلاً مع الاحتلال البريطاني وتشكيل الدولة العراقية حدثت قطيعة مع كل ما كان موجود, لمحاولة تشكيل هوية جديدة, كذلك هو الحال بعد ٢٠٠٣م مع الآخر الامريكي, فقد حدثت قطيعة ايضا مع ما كان موجود قبل ٢٠٠٣م, ليعاد طرح الاسئلة المقموعة عن الهوية العراقية .

ومع تأكيد القول بأن المخاطر المحيطة بالهوية لا يمكن انكارها, لكن الاعتراف بالواقع شيء والموقف منه شيء آخر, إذ ما هو كائن يشير الى حضور سؤال الهوية, لكن مع هذا الحضور يفترض التصدي وبيان زيف من يريد سيادة هويته على الهويات الاخرى أو من يسعى الى ايجاد حالة من الصدام بين الهويات .

يفترض العيش المشترك في العراق تشكيلهوية مشتركة(الهوية الرئيسة) بوصفها مرجعية للعيش المشترك, أي تحقيقها العملي من خلال صياغة الاوزان الضرورية للهوية العراقية الرئيسة والهويات الفرعية, للدولة الشرعية والسلطة الديمقراطية, للسلطة الديمقراطية والمجتمع المدني, للنخب الاجتماعية والسياسية, للثقافة العامة

والخاصة, للتربية والتعليم والاعلام, بمعنى صياغة :

١-رؤية واقعية وعقلانية عن وحدة وتجانس الهويات في العراق من اجل تكامل الجميع في بناء الدولة الشرعية والنظام الديمقراطي والمجتمع المدني .

٢-بناء الاوزان الداخلية للسلطة والمجتمع المدني عبر صياغة الرؤية العامة لفكرة الحرية والنظام بمختلف اشكالها ومستوياتها في العراق .

The Question of Identity in the Iraqi State after 2003

- A Philosophical Answer-

Dr. Qais Nasir Rahi

University of Basrah

Basrah& Arab Gulf Studies Center

Abstract:

The question of identity is a part of philosophical research and its interests, and a preoccupation, However, the differences in philosophical research differs in identity as a result of changing the meaning of the subject. It was part of the research in essence, that came to be seen as an aspect.It associates with the community after was associated with the individual.As a result, the Identity research occupies a central place in the contemporary political philosophical studies. In Iraqi affairs, Some researchers say that the question of identity is a result of a post-2003, but reality proves otherwise. The question of the identity in Iraqi state, maybe for decades, Before it is presented in its modern form in the world, according to the question of who we are? The search moved according to the saying that Iraqi identity has not yet been formed.

الملخص/

لم يغب سؤال الهوية عن البحث الفلسفي واهتماماته, بل يمكن عده واحداً من اشتغالات الفلسفة, إلا إن الذي اختلف هو تحولات البحث الفلسفي بالهوية نتيجة لتغير معنى الموضوع, فبعد أن كان سؤال الهوية جزءاً من البحث في الجوهر اصبح ينتمي الى القول بالمظهر, وبعد أن كان سؤال الهوية يقترن بالفرد اصبح مرتبطاً بالجماعة, وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مواكبة الفلسفة للتغيّرات المحيطة بها وعدم انفصالها عن الواقع الذي تنتمي له. وراهناً, يحتل البحث في الهوية مكانة مركزية في الدراسات الفلسفية السياسية المعاصرة. وفي الشأن العراقي, يحاول البعض تصور سؤال الهوية وكأنه نتيجة لما بعد ٢٠٠٣م, إلا أن الواقع يثبت غير ذلك, فسؤال الهوية تحديدا في العراق قد يعود لسنوات بل لعقود سابقة, وقبل أن يُطرح بشكله المعاصر بالعالم اليوم وفق سؤال من نحن؟ لم يشتغل البحث هنا على اصالة الهوية العراقية, بل بالعكس تحرك البحث وفق القول بأن الهوية العراقية لم تتشكل بعد, ولابد من جهود حثيثة يشترك فيها مجموعة من الباحثين مع رغبة سياسية بايجاد خطوط رئيسة لتشكيل هوية عراقية رئيسة تؤمن بوجود هويات فرعية, وعلى الأخيرة الايمان بأولوية الهوية الرئيسة وتقديمها على الهوية الفرعية .

الهوامش :-

١-ينظر:

Parekh, Bhikhu, A New Politics of Identity, Palgrave macmillan, 2008,p.32.

٢- ينظر: العظمة, عزيز,العالم العربي: سؤال مابعد الحداثة, ضمن كتاب مفاهيم عالمية الهوية, ترجمة عبد القادر قنيني, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط اولى, ٢٠٠٥, ص١٧ .

٣- ينظر: دوبار, كلود,ازمة الهويات تفسير تحول, ترجمة رندة بعث, المكتبة الشرقية, بيروت, ط اولى, ٢٠٠٨, ص ١٦ .

٤- ينظر: المصدر نفسه, ص١٦-١٧.

٥-التريكي, فتحي, وعبد الوهاب المسيري, الحداثة وما بعد الحداثة, دار الفكر, دمشق, ط أولى, ٢٠٠٣, ص١٩٨ .

٦-ستيس, ولتر, هيجل(المنطق وفلسفة الطبيعة)مج الأول من فلسفة هيجل, ترجمة امام عبد الفتاح امام, التنوير, بيروت, ط ثالثة, ٢٠٠٧, ص١٨٩-١٩٠.

٧- عابد الجابري, محمد,مادة (هوية), ضمن الموسوعة الفلسفية العربية, مج الأول, تحرير معن زيادة, مركز الانماء القومي, بيروت, ط أولى, ١٩٨٦, ص ٨٢١ .

٨- ينظر: حنفي, حسن,الهوية, المجلس الاعلى للثقافة, القاهرة, ٢٠١٢ , ص٧٢.

٩- ينظر: المصدر نفسه , ص٩.

١٠- ينظر: دوبار, كلود,ازمة الهويات تفسير تحول, ص١٧.

١١- ينظر: المصدر نفسه , ص١٨.

١٢- ينظر: حنفي, حسن,الهوية, ص٦٤-٧١.

١٣- ينظر:

Kymlicka, Will, & Avigail Eisenberg(Editors), Identity Politics in the Public Realm, UBC Press, Toronto, 2011, p.1.

١٤- ينظر: تللي, جيمس,سياسات الهوية , ضمن كتاب الفكر السياسي في القرن العشرين, مج الثاني, تحرير تيرنس بول وريتشارد بيلامي, ترجمة مي مقلد ومراجعة طلعت الشايب, المركز القومي للترجمة, القاهرة, ط اولى, ٢٠١٠, ص٢٦٥.

١٥- ينظر:

Chris Barker, The Sage Dictionary of Cultural Studies, Sage Publications Ltd, London,2004, p.95.

١٦- ينظر: تللي, جيمس,سياسات الهوية, ص٢٦٧ .

١٧- ينظر: المصدر نفسه, ص٢٧٠ .

١٨- ينظر: ماتلار, ارمان,التنوع الثقافي والعولمة, ترجمة خليل احمد خليل, دار الفارابي, بيروت, ط اولى, ص١٣.

١٩- ينظر: تللي, جيمس,سياسات الهوية, ص٢٦٧ .

٢٠- ينظر: هنتنغتون, صموئيل, من نحن (التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية), ترجمة حسام الدين خضور, دار الرأي للنشر, دمشق, ط أولى, ص ٢٩ .

٢١-المصدر نفسه, ص٣٨-٣٩ .

٢٢- ينظر: رينو, ايمانويل,التصورات الاوربية للهوية, ضمن كتاب مفاهيم عالمية الهوية, ترجمة عبد القادر قنيني, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط اولى, ٢٠٠٥, ص١٤٥ .

٢٣-هنتنغتون, صموئيل, من نحن (التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية), ص ٢٥ .

٢٤-المصدر نفسه, ص ٢٨ .

٢٥- ينظر:

Kymlicka, Will, Multicultural Citizenship, p.18.

-٢٦

Tully, James, Strange Multiplicity Constitutionalism in an Age of Diversity, Cambridge University Press, UK, First Published ,1995, pp.10-11.

٢٧- ينظر:

Ibid.

٢٨- ينظر:

Bhikhu Parekh, Rethinking MulticulturalismCultural Diversity and Political Theory, MacMillan press, First published,2000,p.144.

٢٩- ينظر: جوزيف, جون, اللغة والهوية (قومية-اثنية-دينية), ترجمة عبد النور خراقي, عالم المعرفة, الكويت, ٢٠٠٧ , ص٢٥ .

٣٠-ينظر: وهولبورن, هارلمبس,سوسيولوجيا الهوية والثقافة, ترجمة حامد حميد محسن, كيوان للطباعة والنشر والتوزيع, سوريا, ٢٠١٠ , ص٩٤ .

٣١- ينظر: ستانسفيلد, جاريث, العراق - الشعب و التاريخ والسياسة - , مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية, ط أولى,٢٠٠٩ ,ص٦٢.

٣٢- ينظر: المصدر نفسه ص ٦٣.

٣٣- ينظر: مطر, سليم,الذات الجريحة, مركز دراسات الامة العراقية- ميزوبوتاميا, جنيف-بغداد, ط رابعة,٢٠٠٨, ص٣٦٣.

٣٤-كرمانج, شيركو, صدام الهويات في العراق, ضمن كتاب صراع الهويات في العراق, تحرير اماتيزيا بارام, ترجمة مصطفى نعمان احمد, دار ميزوبوتامبيا, بغداد, ط أولى, ٢٠١٧, ص٦٨.

٣٥-العظمة, عزيز, سؤال مابعد الحداثة, ص١٦.

٣٦-الجنابي, ميثم, فلسفة الهوية الوطنية(العراقية), دار ميزوتامبيا, بغداد, ط أولى, ٢٠١٢, ص ٦٦ .

٣٧- ينظر: المصدر نفسه,ص٦-٧.

٣٨-نقاش, اسحق, الوصول الى السلطة(الشيعة في العالم العربي المعاصر), ترجمة مختار الاسدي, الدار البيضاء, بيروت, ط أولى, ٢٠١٥, ص ٢٠٥ .

٣٩- ينظر: شعبان,عبد الحسين, جدل الهويات في العراق (الدولة والمواطنة), الدار العربية للعلوم ناشرون, ط اولى, ٢٠١٠ ,ص٤٨.

٤٠- ينظر: المصدر نفسه,ص٤٨ .

٤١-نصر,جعفر نجم,الذات الشيعية العراقية وفضاءات الدين والسياسة, دار ومكتبة عدنان, ط ثانية, ٢٠١٥, ص٢٧ .

٤٢- ينظر:

Carens, Joseph H., Culture, Citizenship, and Community (A Contextual Exploration of Justice as Evenhandedness), Oxford University Press, New York,first published ,2000, p.52.

٤٣-هيود,اندرو,مدخل الى الايديولوجيات السياسية, ترجمة محمد صفار, المركز القومي للترجمة, القاهرة, ط أولى ٢٠١٢, ص٢٨٤ .

٤٤- شعبان, عبدالحسين,جدل الهويات في العراق (الدولة والمواطنة), ص ٤٩ .

٤٥- ينظر: مطر, سليم,الذات الجريحة, ص٣٦٣.

٤٦- ينظر: المصدر نفسه,ص٣٦٤.

٤٧-ينظر:

Parekh, Bhikhu, A New Politics of Identity, p.80 .

٤٨- ينظر:

Taylor, Charles, The Politics of Recognition, in Multiculturalism, Examining The Politics Of Recognition, Edited by Amy Gutmann, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1994.,p.25 .

٤٩- ينظر: تللي, جيمس,سياسات الهوية, ص٢٦٩ .

٥٠- ينظر: هولبورن, هارلمبس سوسيولوجيا الهوية والثقافة, ص٩٣.

٥١- ينظر: تللي, جيمس,سياسات الهوية, ص٢٧٠ .

٥٢- ينظر:

Tully, James, Public Philosophy, p.169.

٥٣- ينظر:

Parekh, Bhikhu, A New Politics of Identity,p.11.

٥٤- ينظر:

Ying-yi, Hong, and others, Multicultural Mind, American Psychologist, American Psychological Association, July 2000,p.709.

٥٥- ينظر: هيود, اندرو,مدخل الى الايديولوجيات السياسية, ص٢٨١ .

٥٦- ينظر:

Bechhofer, Frank, National Identity,Nationalism and Constitutional Change, Palgrave Macmillan, UK, First published,2009,pp.2-3.

٥٧- ينظر:

Ibid,p.3

٥٨- ينظر:

Sverker Gustavsson, & Leif Lewin,(editors) ,The Future of the Nation State, Routledge, London, First published ,1996,p.6.

٥٩- ينظر:

Parekh, Bhikhu, A New Politics of Identity,p.54 .

٦٠- ينظر:

Phillips, Anne, Multiculturalism without Culture, Princeton University Press, USA, 2007, p.11.

٦١- ينظر:

Parekh, Bhikhu, A New Politics of Identity,p. 80 .

٦٢- ينظر:

Tully, James, Strange multiplicity Constitutionalism in an age of diversity, p.8.

٦٣- ينظر:

Kymlicka, Will, Modernity and National Identity, in Ethnic Challenges to the Modern Nation State, Edited by Shlomo Ben-Ami&Others, Macmillan Press LTD, UK, First Published, 2000, p.13.

٦٤- ينظر:

Barker, Chris, The Sage Dictionary of Cultural Studies,pp.131-132.